المقـدّمـة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ... وبعد:

تجتاز الأمة الإسلامية في هذه الفترة التاريخية مرحلة خطيرة في حياتها لم تشهدها أمة من أمم الأرض.. فقد تداعى عليها الأعداء من كل جانب، وتناهبوا أرضها وشعبها وفكرها ومقدساتها، وفرقوا شملها، وداسوا كرامتها، وسلطوا عليها شذاذ الآفاق، بعد أن صنعوا منهم دولة، وزودوهم بأفتك الأسلحة لينهشوا من لحمها، كلما شعروا بالجوع.. دون أن يجرأ أحد من هذه الأمة على رد العدوان، واسترداد المقدسات، واسترجاع الكرامات..

وما هو أشد وأدهى ، تعرض هذه الأمة إلى حرب نفسية رهيبة من قبل أعدائها العريقين في عداوتهم، والذي يمثلهم الثالوث اليهودي والصليبي والشيوعي، مستخدمين وسائل الإعلام كافة، وبكافة أنواع الأسلحة من دعاية كاذبة ، أو شائعة مغرضة، أو ضغط اقتصادي، أو تخويف وإرهاب، حتى عمليات غسيل الدماغ لم ينسها هذا العدو البغيض، وهدفه الأول والأخير تحطيم عقيدة هذه الأمة، وقطع العرى التي تربطها بدينها وقيمها وأخلاقها، ومن ثم تمزيق شملها ووحدها وإضعافها وضمان تبعيتها له في كل أمر من الأمور السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية.

لذا نحن أبناء هذه الأمة في أشد الحاجة إلى فهم طبيعة هذه الحرب النفسية ومعرفة أساليبها وأسلحتها، وتقويم خطرها تقويماً صحيحاً لنستطيع – بإذن الله –

أن نفوت على العدو أهدافه، ونحبط مخططاته، وشن عليه حرباً نفسية مضادة لرد كيده في نحره.

ولقد كان اختياري لهذا الموضوع منبعثاً من هذه الحاجة الماسة إلى فهم هذه الحرب، وعلى الرغم من وعورة الطريق، وصعوبة المسلك ووحشته، سرت فيه أتلمس مواضع الخطى كمن يسير في ليل دامس دون سراج ولا دليل..

وليس مثل هذا الموضوع سهل التهيئة، ولا يسير المعالجة، وذلك لقلة الباحثين فيه بشكل عام، وندرة أو عدم الباحثين فيه من خلال التصور الإسلامي وموازينه.

وقد التجأت إلى القرآن وإلى السنة النبوية الشريفة، وإلى كتب السيرة والتاريخ، وفيها وجدت بعض ما أصبوا إليه، مما دفعني إلى متابعة الطريق، حتى نهايته بإذن الله وتوفيقه ورعايته.

وقد وجدت من خلال تهيئة لهذا الموضوع أن الحرب النفسية تهدف أول ما تهدف إلى تغيير سلوك الإنسان، فرأيت أنه لابد من دراسة هذا السلوك والقوى المؤثرة فيه، وإمكانية تغيره وتوجيهه وتعديله؛ فكانت بداية البحث دراسة علم النفس الاجتماعي بصفته القاعدة النظرية للحرب النفسية، وأتبعته بدراسة قصيرة لعلم النفس العسكري بصفته أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس الاجتماعي، وتوصلت بعد ذلك إلى ماهية الحرب النفسية وتعريفاتها وأهدافها.. وهذا هو موضوع الفصل الأول من الرسالة.

- وهل الحرب النفسية حديثة العهد أم لها جذور في الماضي؟

وللإجابة عن هذا السؤال ألقيت نظرة تاريخية على الحرب النفسية قبل الإسلام، وفي العهد الإسلامي الأول، وفي حياة الرسول ﷺ في مكة ثم في المدينة وما لاقاه ﷺ من المشركين والمنافقين واليهود، من دعاية كاذبة وشائعة وإرهاب

وتخويف، ثم ألقيت نظرة على الحرب النفسية عبر التاريخ الحديث والمعاصر... وهذا موضوع الفصل الثاني من الرسالة.

والحرب النفسية لا تحارب بالمدافع والأسلحة المادية المختلفة، وإنما تحارب بأسلحة أمضى وأشد.. إنها تحارب بسلاح الدعاية والشائعة وغسيل الدماغ، وهناك أسلحة أخرى ، إلا أن هذه أخطرها وأشدها ضراوة، وإن طعنتها لا يرأب صدعها، ولا يرتق فتقها .. وهذا هو موضوع الفصل الثالث من الرسالة، أسلحة الحرب النفسية.

- وحتى يطّلع القارئ على نماذج تطبيقية للحرب النفسية العدوة بسلاح الدعاية ليقوّم المسلم خطرها ويعد العدة لها، أسهبت في تحليل الدعاية العدوة لما نعانيه نحن المسلمين اليوم منه، ولما نكتوي يومياً من ناره، ونحترق من أواره.

- وقد بينت كيف أن الدعاية اليهودية استطاعت بتخطيط رهيب أن تنشئ من شذاذ الآفاق أمة، وتقيم لهم دولة، وسار هذا المخطط في خمس مراحل، كل مرحلة تؤدي إلى التي بعدها حتى الوقت الحاضر .. وقد سيطرت على فلسطين كلها وأصبحت قوة يحسب لها حساب في ميزان الحروب.

- ووضحت المرتكزات الأساسية للتخطيط الدعائي اليهودي وموقف اليهودية من الإسلام على أنه عقيدة، فلجأت إلى التحريف والتشويه، فلجأ مفكروهم إلى تحريف الإسلام وتعاليمه في داخل فلسطين المحتلة من طريق كتب التعليم، وخارجها عن طريق المؤلفات الفكرية العامة .. وكذلك بينت كيف أن اليهودية سخرت النصرانية لمصالحها، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.. وأخيراً بينت وسائل الدعاية اليهودية وسيطرتها في الداخل والخارج على الإعلام الدولي ووكالات الأنباء.

- والنموذج الثاني للدعاية هو الدعاية الشيوعية .. نشأتها، وأسلوبها الخبيث، ووسائلها، وموقفها من الإسلام منذ بداية الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧م وحتى الوقت الحاضر.. وكيف استطاعت هذه الدعاية بتخطيط خبيث القضاء على معالم الإسلام، وحاولت القضاء على العقيدة الإسلامية في البلاد الإسلامية الواقعة تحت سيطرتها إلا أن محاولاتها باءت بالفشل، وتحررت الدول الإسلامية، بعد القضاء على الاتحاد السوفيتي وتفككه.

- والنموذج الثالث الذي بحثته هو الدعاية الغربية أو الصليبية، وقد بينت أسسها وموقفها من الإسلام، ومراحلها، قبل الحروب الصليبية وبعدها، وفي الوقت الحاضر، ودور كل من الاستشراق والتبشير في هذه الدعاية، ووسائلها الخبيثة في هذا المجال، وسيطرتها على وكالات الأنباء التي تزود العالم أجمع بالأخبار من خلال تفسيرها وتشويهها وتزييفها للحقائق، ودس السم في الدسم ، وما إلى ذلك من أساليب حاقدة.

وفي الفصل الرابع من البحث بينت أن الحروب النفسية العدوة لم تتوقف ضد أمتنا، لا في سنينها السمان، سنين العزة والكرامة، ولا في سنينها العجاف، سنين الذل والمهانة.

فالحرب النفسية أضافت إلى حربها ضد عقيدة الأمة وفكرها وكيانها حرباً نفسية خاصة ضد الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر وضد دعاتها ورجالها فحاولت تشويه صورتهم وتلطيخ سمعتهم في نظر الناس جميعاً، وحرضت عليهم الأنظمة، وبينت خطة أعداء الإسلام في الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية.

وفي هذا الفصل أيضاً وضحت المبادئ الأولية للحرب النفسية من خلال التصور الإسلامي، مبيناً أسسها وأهدافها وأسلحتها، وكيفية مقاومة الحرب النفسية

العدوة. معتمداً في كل هذا على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وسيرة الصحابة الكرام.. رضي الله عنهم.. والتاريخ الإسلامي ..

ولا أدعي أنني أوفيت الموضوع حقه من الدراسة والبحث.. فهو لا يزال محتاجاً إلى مزيد من الجهد والعرق حتى تعم فائدته بإذن الله.. إلا أنني قد أكون ولله الحمد فتحت باباً للداخلين فيه وحركت الهمم للبحث فيه.. وكل ما أرجوه أن يزيد هذا البحث في وعي أبناء هذه الأمة ويزيد في اهتمامهم بقضاياها.

وإنني أقدم شكري وتقديري للأستاذ الدكتور محمد أديب الصالح رئيس قسم السنة بالجامعة. والمشرف على الرسالة، وكل من الدكتور مالك بدري أستاذ علم النفس الاجتماعي بالجامعة، والدكتور محمد فريد عزت أستاذ الإعلام بجامعة الملك عبد العزيز اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة..

وكذلك أقدم شكري وامتناني لكل من الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي والأستاذ عبد الرحمن ألباني اللذين استفدت من توجيهاتهما التربوية والنفسية وفتحا لي بيتهما ومكتبتهما لتزويدي بالمراجع اللازمة فلهما مني الشكر والعرفان.. والحمد لله رب العالمين .

د. فهمي النجار